

الفضاء السردي في الشعر الشعبي بمنطقة الحضنة

أ.باية كاهية

جامعة محمد بوضياف . المسيلة

الملخص:

لعل الفضاء كنوع أدبي ينبثق من صلب التخيل الشعري المعاصر بعيدا عن أهم الأمكنة المميزة المرتبطة بطفرات حضارية، عبر عنها الفن والأدب بأروع الأساليب وأبلغها وأجمل الألفاظ وأحسنها، أو لعله من أكثر العناصر الفنية تعقيدا وتأزما و ملئا لمساحاته الشاغرة.

Summary:

Perhaps the space as a literary genre stems from the heart of the contemporary poetic imagination, away from the most important places associated with distinctive cultural periods expressed in art and literature with the coolest styles, and the most beautiful words and the best, or perhaps more complex and stringent technical elements being furnished requires for its emptied, and dams of his belongings, and filled the vacant space.

لعل وجود الذات الساردة في كل مكان وزمان هو ما يحدد طبيعة النص ، وهذا من شأنه أن يؤثر تأثيرا قويا جليا واضحا ومباشرا في الدلالة المميزة له. فالنص يعتمد على السرد الحكائي، ويتخذ من الحكاية مركزا يلج من خلاله تصورات هذه الأخيرة أي الحكاية وخلفيتها الزمنية و المكانية، ومن هنا ينجم عنها فضاءات خاصة ومميزة تقترن بها اقترانا وثيقا، وتدل عليه التقنيات السردية المختلفة الخاصة بمنظور الشاعر السارد ، وهي مشكلة في الأساس ناجمة من التحام عناصر تقنية فنية ممثلة في الوصف والسرد الذي ينجم عن التحامه فضاء القصيدة. كثيرا ما يعتمد السارد في نصوصه الأدبية إلى استعمال خيارات مقصودة للتعبير عن فضاءاته، فإما أن يميل إلى تسجيل آفاق واقعية مادية تحدد عناصر الزمان

والمكان تحديدا كميا ماديا من جهة، أو أنها تميل إلى جانب صوري تخيلي معبر عن تصور نفسي مرتبط بفضاء الرؤية والتصور العقلي والنفسي، حيث يقول: "والاس مارتن": " أن السارد هو الذي يحدد المحيط الداخلي للشخصية النصية، وفضائها الداخلي وهو فضاء نفسي ينتمي لعالم الشعور والفكر"¹

وإذا كان الفضاء الخاص بالحكاية في النص السردي الشعري يرد مجملا وفق طبيعة النص المعبر عن أحداث الحكاية وثناياها في حركة دائرية متنقلا فيها داخل سياق التأويل النصي الخاص.

فإنه بمعناه الواسع يشتمل على المفارقات الملغزة والمتناقضة الدنيوية والحسية المادية إضافة إلى عنفوان الأماكن المشتملة على ذاكرة مضطربة تتجاذبها مراتع الحياة الحسية اللاهية، وأخرى شهد لها التاريخ بالبطولة والمجد. المشتملة على أماكن الثورة أو على مؤسسات الفكر والثقافة والتعليم. إضافة إلى فضاءات الرومنسية من بساتين وجداول، أنهار ونخيل تتمتع بثراء وغنا كبيرين في الرؤية والتجربة والتعبير الجمالي للمكان والفضاء عموما. وفي الأبيات الموالية يظهر لنا الفضاء متنوعا تخيليا حيننا ومميزا بالتصوير الدقيق المفعم بالحياة وبالعواطف رغم ما يحمله الوصف من تجسيد مادي ملموس يخفي في ثناياه كم من المشاعر والأحاسيس الجياشة التي تترجم الكثير والمزيد من الشوق، وتبكي آلام الفراق وجراح الهجر.

يقول الشاعر البشير قذيفة:

أنسى واش وراك عنولا تسأل ولا تبقى ديما تسأل عالي فات
 ذي المسافة خالية وجبال رمل عند الفجر أتبان تيماسين علات
 الراحة في تقرت ماني قابل لي تظهر الجامعة بين النخلات
 زايد للدخان في روجي تشعل ونصبر فالقلب نمضي فالساعات
 أصحابي مرتاحين وانا متهول وطوالت عني المسافة وبطات²

تحدد في هذا النص الحركات من خلال الوحدات السردية المختارة بتمعن وقصد

(جبال رمل، تيماسين، تقرت....) وهي عناصر مادية مكتملة بالفضاء النفسي الخاص بالسارد في قوله: (مسافة خالية، زايد الدخان في روعي، نصبر في القلب، طوالت عني المسافات....).

لقد اتخذت كل هذه العناصر المادية والتخيلية المعنوية بين الذات والمشهد والمجاز لتكون رؤيتان تتحدان و تحددان فضاء المكان.

الأولى: رؤية المشهد وأبعاده المختلفة التي تكونها مفردات خاصة بالمكان.

الثانية: رؤية الواقع النفسي وأبعاده المختلفة، التي تكونها مفردات خاصة بالذات

الساردة.

وهذا الفضاء يمثل درجة من درجات الحيوية والنماء بما يحويه من حركة النفس والمشاعر التي تجتاح الشاعر ويترجمها في نصه الشعري، ومن أصوات أخرى تمثل البعد المجازي.

" وتمثل هذه العناصر مجتمعة ببعضها البعض انعكاسها النصي بصفة عامة، باعتبار أن المكان لا يمثل خلفية للنص فقط بل يمثل إطارا يحتوي على عناصر الموقف، وعنصرا فاعلا، والذي قد يرفع الشخصية في النص إلى الحركة والفعل"³

" ويمكن تحديد العناصر التي تسهم في ايجادهذا الفضاء وهو يختلف عن الحيزالذي يمكن أن يوجه نصا ما."⁴ كالصراعات الداخلية والنفسية وبالتالي الفضاء هنا يمكن أن نطلق عليه فضاء الحالة سواء فيما يتصل بالفضاء الذي يوجد السارد " الحيز" أو الفضاء الذي يوجد المسرود.

وقد يلجأ السرد إلى ذكر الأماكن بأسمائها وصفاتها والحالات بتصويرها فيما يشبه التسجيلية المظفرة بالتصوير الرمزي والمجاز وحركة المكان ونمو المشهد، نمو يجعل من الفضاء مركزا للدلالة في النص بصفة خاصة تحدد هي بقية الدلالات الخاصة بالمفردات الحية التي تكون المشهد كما يشكل عنصر العلاقات الجغرافية جانبا ذا فاعلية في حركة السرد وجانبا نفسيا خاصا للنص، وللشخصيات غير الفاعلة التي تأخذ مفهومها من مفهوم المكان، ما يمثله من مظاهر وإشارات تسهم في إيجاد الفضاء الخاص بالنص

والسياق المصاحب له، وهذه العناصر تعبر عن مضمون مكاني يريد الشاعر إضافته إلى عناصر المشهد⁵

ويتغنى الشاعر بن النوي عبد القادر بمسقط رأسه ويمدى شوقه لقريته وجبالها العالية في قصيدته المشهورة "وكر جدودي".
يقول:⁶

يا لحجل شق المقاسم صبري طال	والمقصاد بعيد يتعب جوابو
وكر جدودي عاد من بعدو بينال	ضاق خاطر طال عنو تعزابو
هزنتي لشواق دونو فكري عال	شاتي نوصل ليه ونمس ترابو
قلت انزور جبالنا ونفش هبال	ذالي مرة دافنو وسط احابو

لقد زواج الفضاء السردى في هذا النص بين المكان كقيمة فنية من جهة، ومساحة مقدسة يحلم السارد الشاعر بالعودة إليها ويحن لمراتها حيناً، وللزمن القديم الذي عاشه ويعايشه، والذي يوافق المكان الراغب في العودة إليه من جهة ثانية.
فيقول⁷:

يا موطن لحرار ناجيتك سوال	وين اهلك اوين سكانك سابو
وين صيودك وين فرسانك لبطال	ناس الجودة وين تركوك أوغابو
وين الي عاشو هنا في شاو الحال	وين اللي حفظوا العهد ما خابوا
ناس الضنة و الكرم كلش يكمال	ولياي و ايام كانوا يطيايو
وين اللي عدا حياتو في لعسال	طفحتلو ليام في عز شبابو

الشاعر في نصه هذا يراوح بوصفه لهذا الفضاء بين الرومانسية في وصف المكان، وفي كل ما يتصل به من حياة اجتماعية، وبين واقعية يرنو فيها الى زمن جميل يتمنى أن يعيشه من جديد فيقول :

ما نحسبش اللي مضات اتولي فال	ما ندريش الشاو خير من اعقابو
عارف روحي كي نفكر واش انال	والقلب اذا تاه ما يفيد اعتابو
هاذي دنيا راحلة تمشي لزوال	مسعود اللي نال منها منابو
ما باقي لا كان وجهو ذا الجلال	خالق كل شئ وامقدر نصابو ⁸

ثم يعرج الشاعر في نص آخر للحديث عن فضاء أرحب وأوسع محبب جدا لديه هو "دوار اولاد نايل" عرش ضم الكثير من المداشر، له مكانة جدا محترمة بين العروش المجاورة يقول الشاعر :

أتوحشت أولاد نايل جار بجار ولا من جاني منهم قلت انسال
ذرية المقبول خلافين الثار سلسالة لشراف بحر لكمال⁹

ويتحول للحديث عن فضاءات أخرى لها من المحبة في نفسه ما يحمله كل قلب لموطنه فيقول:

عين الريش وبوسعادة جاربحار سول عنهم كل واحد بسوا ل
مسعد والجلفة البيرو الدوار امجدل دونوا سحابات انيال
خنق الخطبة والسباخ تجيك يسار يا سرفي الصحرا العالية بأموال
ربع عروش ضمانة وليد المختار جلالة فيها البيرو يحلال
أولاد نايل كي الحانوت العطار بالمسك المعقول ليس مثال

ولربما كانت أعظم الفضاءات التي أخذت حيزا كبيرا في الأعمال السردية الشعبية هي صورة " الجزائر" ومكناتها في النفوس وبين الدول والأمصار وقيمتها قديما وحديثا، فقد حملت في طياتها أحداث الحروب وانكساراتها، ونشوة الانتصار. إذ أن الجزائر مثلت ذريعة لعدد كبير من الشعراء المبدعين الذين كانوا بمثابة الجدار الإبداعي الناهض بالفن وإبداعات فنية، وقد مثلت كل كتابة عن الجزائر فضاء خاصا بذاتها وحققت رؤية عميقة بحثت في مضامين وثنايا شرنقات الذاكرة المحملة بقضايا الوطنية والروح القومية، وفضاء التلبس بالأصل والعرش، والأسرة وجدان تراوح بين قطبي الإنتماء والوجود:

فضاء الوطن:

الشاعر إبراهيم زلوف يبديع في قصيدته " يا سا يمني" وهو يصف الوطن والوطنية بأوصاف قومية رومانسية غاية في الجمال مازجا إياها بعناصر الطبيعة الغناء التي تتم عن رهاقة في الحس، وحسن في الاختيار والتعبير يقول:¹⁰

يا سايمني في بلادي واش نسال فدانة واحضيتها في بستاني

زارعها بأرواح شهداء أبطال ساقبها بالدم كره لعدياني
و اللي نفخر بيه دم أمس نسال شبل راه سبع فالزهرة ثاني
يكسر عظم اللي تمنع في لجبال وامعول عن حاجتو في ثواني
يا سايمني في بلادي عاد هبال والطامع في فناها يرجع ثاني
صور الشاعر بلده، وطنه وموطنه بالفدان أي قطعة الأرض المختارة،
المجتبأة في بستانه، والتي زرعها وسقاها بأرواح الشهداء الأبرار، تشبيه ينم عن حسن
الاختيار وانتقاء موقق للعبارات والألفاظ ، وقد نستشف أيضا إبداعا على مستوى الأفكار
والمعاني، ف"الأرض" حسب وحسب الكل "أم" و"الجزائر" هي "الأرض" الموجود
في بستانها إذا فالجزائر "أما" سواء كانت أمالشعبه أم أما له هو .

ويلاحظ المنتع أن الفترة الزمنية الأكثر تأثيرا، والأكثر رمزية التي يتحدث
عنها السارد هي الفترة الاستعمارية، حيث حققت "الجزائر" البطولات، وأثبتت الجدارة
في انتصاراتها الأسطورية في المعارك والثورات، ففضاء الجزائر فضاء رحب تحدث عنه
الشعراء بصفته مكان من جهة ، ومن جهة ثانية يقرونه بالزمن هذا الزمان المقدس في
نظر السارد .

وقد ذكر ذلك "باختين" من خلال تأكيده على ضرورة الانتباه إلى حقيقة أن
الزمان والمكان في النصوص السردية متعلقان ¹¹ .

فالدارسون والنقاد قد اهتموا بفكرة الزمن في العمل الأدبي كما اهتموا بفكرة
المكان أو الحيز (...). واللحمة بينهما وثيقة والشائج ملتحمة بحيث لا نستطيع فصل
المكان عن الزمان ولا الزمان عن المكان. ¹²

كما قد يحمل الفضاء معان سردية جمة في السرد النثري أو الشعري
على السواء، إذ يمكن أن يشمل عنف الإلتناء المحفوف (بالقومية والوطنية) على مستوا
أكبر، أما بصورة أقل فهو يتغنى بالمحلية القروية، الممجدة لروح العرش والذشرة مثلما
يتحدث عنها معظم الشعراء الشعبيين يقول الشاعر : عبد القادرين النوي في قصيدة ثورة
الأحرار: ¹³

يا لوراس بدا البركان تفجر جبل اوراس الشم مدرسة الثوار

جرجرة ياهاربة من كل اقدر
 الشاويو اقبائلي صيد مظفر
 يارهبة لعدوك يا قلعة المسار
 متدرب في شاوها فارس مغوار
 جبل الريش اللي مغطي كل أوعر
 أخديجة والشيليا حومة لطيار
 وجبال الظهرة اغيبها ريش نسر
 واصراوات النل تتحدى لخطر
 والصحرا بابطال عظاما تزخر
 ماركعواللي تعدى مهما جار

تحدث الشاعر في هذا السرد التصويري المشهدي على بطولات شعب ومكانة أرض عبر كل شبر فيها بفخر واعتزاز ففجر "الأوراس" كالبركان ،ونصر "جرجرة" وأرهب بها عدوه وأعدائها وتغنى ببطولات أبناء بلده (الشاوي ، القبائلي ...). حتي الجبال تغني بها (جبال الريش) وصولا إلى (غابات جبال الظهرة...)
 وتحدى (صراوات النل) ويختم بوصوله إلى أكبر جهة في الجزائر وهي " الصحراء " بأبطالها ورجالاتها المخلصة ، وكل عظيم ماركع ولا استكان رغم قوة العدو وجبروته وعدته وعتاده .

فضاء المعتقد:

الكثير من النصوص السردية تشتمل على فضاءات أكثر قداسة وشعائرية لارتباطها بالمعتقد الديني وهي تلك المتعلقة بأقدس بقعة على وجه الكون ألا وهي "الكعبة الشريفة أو المدينة المنورة " أو أي مكان له ارتباط بين بشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته النبوية أو بالعقيدة الإسلامية بصفة عامة .وفي هذا يقول الشاعر بن النوي عبد القادر في معرض حديثه عن زيارته للبقاع المقدسة من خلال قصيدته المعروفة "حان الوقت على زيارة محمد":¹⁴

حان الوقت على زيارة محمد متوحش ذاك المقام اللي شفناه
 وفي وصفه لمناسك الحج يركز على ذكر أهم الفضاءات المشهود لها
 بالقدسية والسمو والرفعة، والمعبرة عن صحة وسلامة القيام بمناسك الحج يقول الشاعر
 عبد القادر بن النوي:

في باب السلام للكعبة نقصد
 أيكون البيت على يسارك يا سيد
 وطواف القدوم يجمل فيداه
 والطواف أحق مقالو تقراه

إذا صبت طريق سلم علسعد
مقام إبراهيم فيه اركع واسجد
الصفا والمروا أشواط بالعدد
توقف عرفات ما يبقا واحد
فالمزلفة الحجاج تهود
في من اجمع لركاب تعيد
وقد دأب الشعراء في نصوصهم على البحث وراء كل ما يثير الالتقي
من فضاءات ذات مدركات حسية يكسب النصوص حركة وفعالية وهو الذي تتم فيه
عمليات التخيل والاستذكار، والحلم فهو الذي تتحرك فيه الشخصيات وتحلل الأوضاع،
وتجسد في الوقت ذاته رؤية الكاتب،" بل هو انعكاس للأيديولوجية الإجتماعية فالفضاء
ببنيته وشكله ومكونات ديكوره يحيل بشكل أو آخر إلى كثير من الأبعاد الرمزية
والسيمائية"¹⁶

كما اهتم الشعر كثيرا بالفضاء ولا سيما الشعبي منه على أساس أن مجمل
الشعراء يتغنون بالأماكن التي ينتمون إليها خاصة، أن معظمهم من البادية أو "الريف"
وعليه فإن علاقتهم بالمكان تشكل خصائص شخصياتهم، وترسم أبعادها تاريخيتها
وواقعها ورؤاها،" فتو صفات المكان ليست سوى مشاعر الكاتب يحملها شخصية
المشحونة بالرموز والصور والدلالات، ولذلك كان لكل مكان عالمه الخاص، يختاره
الكاتب ليحتضن شخصياته فتتباين الأنا المكانية من حيث الآخر، ومن شخصية لأخرى،
حسب الرؤيا الخاصة والشاعر الإنسانية التي تحملها الشخصية في حال حضورها فيها
أو غيابها عنه"¹⁷

وفي هذا يقول البشير قذيفة الشاعر الفذ في قصيدته "بوسعادة"¹⁸:

بوسعادة راكي سمطتي من بالي
قولي ليا وين درتي بغزالي
خلا لي لجراح والمضرب خالي
أنا ما نجمت لفرق الغالي
وبكري كنت غالية عندي نشتيك
وعندو مدة ما ظهر ما عاد يجيك
وبعد فراقو ذرك⁷ واش أنواسي بيك⁸
وبالهم للي صارلي وجهي ينيك⁹

بعد فراق الريم لا ما يحلالي
 خبرن جاني قال للغرب مشالي
 من قلبي راح صبر ما ولالي
 لازم للجلفة نسهل يا حالي
 في طاكسي صديت¹⁰ لبلاد الغالي
 ولقيتو مغروم حالو كي حالي
 في ساعة راني وصلت أدلالي
 جيت نحوس¹¹ وينهي دار غزالي
 قالت اهلا بيك كي جيت توالي¹²
 قتلها ما كان غيرك في بالي
 أنت هي صحتي وأنت مالي

وكرهنا بوسعادة قاع نجيك
 ولاحو ربي يا لجلفة واسكن فيك
 ويا عيني عن بعدها واش ينسبك
 ونسافر يا بوسعادة ونخليك
 والسابق قتلو ازرب ربي يهديك
 ولا تتحير قالي ضرك أنصفيك
 والجلفة راني مسلم لمواليك
 وخرجت لي قاتلي أهلا بمجيك
 في ذي الليلة تشوف مني ما يرضيك
 وانت روعي وراحتي قلبي يشنتيك
 ولو تمشي لحدى لبحر نقطع ونجيك

لقد عبر الفضاء السردي في النص عن علاقة هذا المكان بما يحس به السارد أو الشاعر، إذ أسقط عليه أحاسيس الكره والعتاب لأنه لم يكن ليشاركه فرحته بلقاء الحبيبة وبالتالي فقد فكك هذا المكان الرابطة المتينة بين شخصيته كشاعر محب، وبين المكان الذي مثل له فضاء اللقاء والمحبة.

كانت "لبوسعادة" المكان من جهة والفضاء من جهة ثانية علاقة حميمية جدا مع الشاعر، (بكري كنت غالية عندي نشنتيك)، رصدها المحب من منظور مادي، وهو هنا ذلك المكان الذي يلتقي فيه مع محبوبته، أو المكان الذي تقطن به، "قبوسعادة" بالنسبة له هي رمز لتواجد المحبوبة ومنظور روعي هو تلك الحميمية، والأحاسيس الجياشة التي يكنها للمكان لأنه يحمل فيه ذكريات جميلة معبرة عن حبه، وعن حبيبته، إذا ثمة تقاطعات وتشابكات ومفاتيح للحب لا يفتحها سوى هذا المكان.

وكثيرا ما ظهر فضاء "بوسعادة" كمدينة تغنى بها الشعراء والفنانين باهتا خانقا خاليا رفضه الشاعر ونظر إليه بمنظور سوداوي لكونه حرمة من مبتغاه، حرمة من هذا الإحساس الجميل الذي أحس به وحرمه من (ريمه) التي لا يحلو له شئ ولا تحلو له حياة من دونها (بعد فراق الريم لا ما يحلالي)، لقد أصبح هذا المكان "معاديا"

بعد ما كان "أليفا" وأصبح لزاما عليه أن يهجره ويفارقه ليجد فضاء آخر أكثر أمنا وأكثر انفتاحا ومحبة، لذلك فقد وجد الأخير، أي هذا المكان السر وذكره فحول "بوسعادة" ب "الجلفة" وهو مكان واقعي موجود لايبعد كثيرا عن "بوسعادة" ويمكن للمحب أن يستغله للوصول إلى ما يصبو إليه: "للتلاعب بصورة المكان في الرواية يمكن استغلاله إلى أقصى الحدود فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يتواجدون فيه يجعل من المكان دلالة تتفق ودوره المؤلف كديكور، أو كوسيط يؤطر الأحداث، إنه يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي، ويقتحم عالم السرد محررا نفسه هكذا من أغلال الوصف"¹⁹

والشعر هنا كالرواية تماما إذ يمكن له أن يحتوي الانسان ويحيط به، ويعبر من خلاله عن وجوده النفسي الروحي والمادي على السواء، فهو يستظل به أينما حل وحيثما ارتحل، فالمكان هنا عبر عن حالة التوتر. الفراغ والانزعاج الذي يعاني منه الشاعر، جراء نأي حبيبته عن هذا الفضاء الذي يذكره بها فصورتها تلاحقه في كل شبر فيه وقد ألف فيه تواجدها، ما كان عليه سوى هجره وتغييره إلى مكان آخر، وما بقي سوى استعجال سائق "الطاكسي" أو سيارة الأجرة للوصول واللقاء الذي لطالما تمناه.

ارتباط الزمن بالمكان من أجل الوصول إلى المنفى هو الفضاء الذي يستلزم تواجد العنصرين " فالأول يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث، والآخر يمثل الأحداث نفسها"²⁰

كما أنه قد يتضمن في الحقيقة كل شيء يمكن أن يعد حيزا "تشغله أشياء أو يقيم فيه الأشخاص"²¹ وبالنسبة للشخصيات، فإن المكان ينتمي إلى موجودات السرد وبالرغم من أن الفضاء ليس عنصرا من القصيدة الشعرية سواء الرسمية أو الشعبية إلا أن الفضاء و بكل المعاني التي يحملها يعد واحدا من أهم التقنيات التي تعتمد عليها القصيدة عموما والقصيدة الشعبية بصفة خاصة، لاسيما وأن الشاعر لايجهد نفسه للبحث عن الكلمات والعبارات ذات القيمة الكبيرة أو ذات الموضوعات الوطنية أو القومية مثل (الوطن البلاد الجزائر الأم المحبوبة ...). دلالة على الوطنية وعن الروح القومية.

يقول البشير قذيفة عن الجزائر:

الجزائر من غيرها محال نحب
عروسة افريقيا بهجة العرب
أرض الرجلة والكرم عز التاعب
كما يقول :

هي القلب وهي الظاهر والمكنون
ماهي طفلة بحبها أنا مجنون
ماهي دنيا ولاقمر ولاشمس تكون
الفاهم لاشك فسر ذا المضمون
باسم بلادي الغالية أنا محون
كي نذكرها في الخفا تبكي العيون
في العالم ما كان كي وطني حنون
الجزاير محال مثلك كان يكون

عن جالك نعطي العمر والروح تهون
الفضاء الذي يتحدث عنه الشاعر هو هذا المكان الذي يحفل بكل أنواع الوفاء
و الكرم والمعاني الجميلة من الرفعة والعزة والشهامة , هذا المكان الذي يزداد بهاء ورونقا
كلما ازداد حبا وحنانا .

هذا المكان الأليف المألوف ليس محطة عابرة ولا ملاذا مؤقتا , وإنما هو
البلد الغالي الحزن الحنون الذي لا يهوى قلب الشاعر بلدا سواه ,وبالمقابل هناك
فضاءات تزجج الشعراء , ولكنها تحمل من الأهمية ما تحمله سابقتها في النصوص
الإبداعية رغم كونها معادية وغير أليفة مألوفة كحديثهم عن العدو "فرنسا" "للجزائر"
في الفترة الإستعمارية .

" يقول قذيفة دائما:

جات فرانس الكافرة هانت لعرب
وتقول أيضا:

أبطال الجهاد هوما جيرانك
أداوك للعالية فيها شبان

وتراه دائما يرجو النجاة من عذاب القبر، هذا المكان المخيف الذي يجهل الكثير
ولا أحد يريد تجربته أو يمكن له أن يتصور ما يدور بداخله وفي ذلك يقول : 26

يارب بجاه محمد نبيك نجيني هم القبر وانقض سالك

أما عن " الدنيا " فالحديث فيها وعليها يطول لأنها فضاء رحب واسع تشتمل كل
المتناقضات وتحوي : (العقائد ، أحلام ، الشعوب والقبائل ، الفضائل كما الرذائل ،
الأماكن المرغوبة والمطلوبة ، الأليفة ، المقاهي ، المستشفيات ، الملاعب ، البيوت ،
المساجد كما تضم فضاءات الهوية...) .

يقول الشاعر عن فضاءات الدنيا : 27

الدنيا راها غرور تعبيك تليها بمرار بعدن تحلاك

ويقول الشاعر دية الدراجي في موضع آخر: 28

(الدنيا يا سلطان بعد الزهو دور عليك) ، نلاحظ خبث وحيلة هذا الفضاء وعدم
الاطمئنان له .

يقول بن نوي عبد القادر : 29

واحلل اللي تاه واداه أوطاها	حال الدنيا دايمًا تمشي جنفا
يتعبوا واخسارتوا من مازاها	تزهي وتزهى وتتقلب عيفا
حذر بالك لا تغرك بضياها	دار فراق وضيم وظلم وكشفا
واللي جات تجي حلوة بشناها	إذا تقنع كل واحد فيه اكفا
ما تكفيك كنوز لأرض وسماها	وإذا تقنط بالغنى ما تتكفا
خداعة مخدوع مفتون داهها	حتشي من ذا الفانية والمهبوفة
حتشي منه في فقرها وغناها	حتشي منها دار مني عجفل
ترحل دنيا بين صبحة ومساها	شوف الدهر جايدة تاتي صدفا

طلب الحيلة والحذر ، وعدم الإطمئنان لجو الدنيا وحقيقتها كفضاء غادر مثلون ،

غير ثابت على حال وفي هذا يقول تناح بوضياف: 30

الدنيا مدا ولا فرحا واحزان ولا بد يجرالهم ما جرالك
الدنيا دار الخداع ما فيها مان أتولي مرا وامبعد أن تحلاك

أما الأماكن المعادية ، أو الفضاءات المستهجنة والمنبوذة فتظهر في قول ذات

الشاعر : 31

ساعة ساكن في صحاري والقفرة ساعة وسط جنان وخضار مغطية
فالفضاء المنبوذ هنا الصحراء المقفرة كونها صعبة لا يمكن للإنسان أن يعيش فيها
أو يتحمل قسوتها.

ولعله كان لفضاء " المقبرة " الحضور الملحوظ في قصائد الشعراء أو ' الجبانة ' بالتحديد العامي المحلي فهو مكان غير مستحب وتشمئز منه النفوس عادة رغم أنه من الفضاءات المهمة التي لا يمكن للإنسان أن يتناساها أو يتلافاها... لأن الموت على الإنسان حق وكل نفس ذائقتها وهي مسلطة على الإنسان في كل حين وبالتالي فضاء " المقبرة " كان ضروريا لا يمكن تحاشيه أو نسيانه أو التغاضي عنه :

يقول تناح بوضياف في قصيدته " يا سايل عن حالتي راني مضرور " : 32

الشواهد حيين ولو في لقبور واعدهم ربي بفسيح اجنانو
وضمن هذا الفضاء يظهر لنا الكثير من الفضاءات أو الأماكن الأخرى التي لا تقل عنها أهمية ألا وهي تلك المسجدة في فضاء " الجنة " أو " النار " و " جهنم " - والعياذ بالله- عفانا الله وإياكم منها - فهي فضاءات كبيرة ترد في قصائد مبدعين شعبيين ، خاصة وأن أغلبهم مرتادي الكتاتيب والزوايا ، وجلهم أخذوا تعليمهم الأول في المساجد وبالتالي فإن تربيتهم وتعليمهم قوامه التعاليم الدينية والمبادئ الإسلامية السمحة ، لذلك فهم كثيرا ما ركزوا على هذه الفضاءات : 33

في قبرك محال فعلك ما يخطيك منكر ونكير ياتو لسوالك
دار فراق وضيم وظلم وكشفنا حذر بالك لا تغرك بضيها
إذا تقنع كل واحد فيه اكفا واللي جات تجي حلوة بشناها
وإذا تقنط بالغنى ما تتكفا ما تكفيك كنوز لأرض وسماها

لحياة الإنسان فضاءات جمة تحيطه من كل الجوانب لذلك يصعب حصرها

في عناصر محدودة أو في أبيات قليلة كهذه لكن ما يمكن

الإشارة إليه هو أن الفضاء السردي في الشعر ، وبالخصوص في الشعر الشعبي ميزة ضرورية ولازمة، بحيث لا يمكن الإستغناء عنها كما لا يكمن تلافئها أو تجنب الحديث عنها.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- والاس مارتن نظريات السرد الحديثة ، ت : حياة الجاسم ، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 163 .
- 2- عن مخطوط للشاعر البشير قذيفة .
- 3- محمد عزام: فضاء النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 ، 1996، ص88.
- 4- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د ط، 1978، ص41.
- 5- محمد زيدان: البنية السردية في النص الشعري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الأمل للطباعة والنشر، 2004، ص226.
- 6- مخطوط للشاعر: بن النوي عبد القادر.
- 7- المصدر نفسه .
- 8- نفسه .
- 9- بن النوي عبد القادر: مصدر سابق .
- 10- ابراهيم زلوف: ديوان نفحات في الشعر الملحون، مويم للنشر الجزائر، د ط ، 2009، ص107.
- 11- يان مانفريد: علم السرد، أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، ص127.
- 12- عبد المالك مرتاض القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1990، ص228.
- 13- مخطوط للشاعر: بن النوي عبد القادر.

- (14). المصدر السابق.
- (15). عبد القادر بن النوي نفسه .
- (16). أ. د: ضياء غني لفتة، أ.د: عواد كاظم لفتة، سردية النص الأدبي، دار الحامد، ط1، 2011، ص28.
- (17). المرجع نفسه، ص29.
- (18). مخطوط للشاعر البشير قذيفة.
- (19). د: حميد الحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة، ط3، 2000، ص71.
- (20). سردية النص الأدبي، مرجع سابق ص112.
- (21). يان منفريد: مرجع سابق ص128.
- (22). مخطوط للبشير قذيفة .
- (23). نفسه.
- (24). نفسه.
- (25). نفسه.
- (26). نفسه.
- (27). مخطوط للشاعر: الدية الدراجي.
- (28). نفسه.
- (29). مخطوط للشاعر: بن النوي عبد القادر.
- (30). مخطوط للشاعر: تتاح بوضياف.
- (31). المصدر نفسه.
- (32). نفسه.
- (33). نفسه.

شرح بعض المفردات الصعبة:

- 1.- شاتي: أريد، أود، أبحث، أحب.
- 2.- نفش هبال: أزيل الهم، وأرفع عني الضيق.
- 3.- الشاو: البداية.
- 4.- أعقابو: نهايته.
- 5.- نشتيك: في الاصل أشتهيك بمعنى أحبك.
- 6.- المضرب: المكان
- 7.- ذرك: الآن.
- 8.- واش انواسي: ماذا افعل.
- 9.- وجهي ينيك: ينيك أي يعلمك، يخبرك، يعرفك.
- 10.- صديت: رحلت، ذهبت.
- 11.- انحوس: أبحث، أريد.
- 12.- توالي: أتت إلى جواربي.